ظهور الاشتراكية وأثرها على الفكر الاقتصادي

عرفت بذور الفكر الاشتراكي منذ العصور القديمة وتعد جمهورية أفلاطون المثالية المبنية أساساً على النخبة المتميزة والموهوبة من الناس جمهورية اشتراكية أرستقراطية، كذلك عرف العالم حركات تمثل رفضا للواقع، ومحاولة لبناء مجتمع جديد يقوم على أساس العدالة والمساواة.

ظهر النظام الاشتراكي بعد ظهور وإرساء الرأسمالية وتطورها وسيطرتها على جميع أدوات الإنتاج وجميع المجالات الاقتصادية.

قامت الرأسمالية على أساس احترام حق الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وعلى الحرية الاقتصادية التي تبنى على المنافسة الكاملة والتي تحكمها القوانين التلقائية ليحل محلها الاحتكارية أو منافسة القلة مما أفسد قواعد الحرية الاقتصادية وأدى إلى سيطرة فئة محدودة على سير الوحدات الاقتصادية وعلى مستوى الاستهلاك والإشباع.

هذه الظروف أدت إلى ظهور مفكرين وأفكار اقتصادية تطالب بتدخل الدولة من أجل حماية المصالح الاقتصادية القومية ورعاية مصالح الطبقة العاملة التي تتعرض لأضرار وسلبيات المنافسة الاحتكارية، كما أدت هذه الظروف إلى خروج الكثير من المنتجين من دائرة الإنتاج وظهور نوع جديد من البطالة.

كذلك تطور النظام الرأسمالي أدى إلى ظهور التناقض بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح الرأسماليين وكذلك إلى التناقض بين المصالح الخاصة والمصالح العامة.

فبدأت الحركات العمالية تنتظم في شكل نقابات عمالية تدافع عن مصلحة الطبقة العاملة وتعبر عن أهدافها، ظهرت هذه النقابات في إنجلترا ثم ألمانيا ثم فرنسا، وبعد ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن المدرسة الاشتراكية ظهرت قبل ظهور النقابات في شكل أفكار اقتصادية تهتم بمشكلة توزيع الناتج القومي كرد فعل آراء المدرسة التقليدية والفيزيوقراطية الحرة.

مراحل تطور الفكر الاشتراكي:

1. **الاشتراكية النظرية (اشتراكية المنبر)**: يعود ظهور الفكر الاشتراكي إلى عام 1819م بعد نشر الكتاب الاقتصادي "المبادئ الجديدة للاقتصاد السياسي" لمؤلفه سيمون ديسيموند، حيث شرح فيه كيفية تحقيق العملية الإنتاجية وكذلك كيفية توزيع الناتج القومي، كما أظهر سلبيات الرأسمالية والمنافسة الكاملة على الطبقة العمالية، وطالب بتدخل الدولة لمعالجة أضرار المنافسة وتكلم مفكري الاشتراكية النظرية عن إشكالية المزج بين نشاط الفرد وتدخل الدولة.
2. **اشتراكية الدولة**: الحكومات في أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م تأثرت بالأفكار الاشتراكية، حيث أدخلت هذا النظام حيز التطبيق وأخذت بعين الاعتبار حماية مصالح الطبقة العاملة سواءاً بما يتعلق بالتأمينات والضمان الاجتماعي أو عدد ساعات العمل أو حدود الأجر إلى غير ذلك من مزايا الاشتراكية.

فظهر للاشتراكية تيارين هما: – الاشتراكية المثالية.

– الاشتراكية الواقعية.

أفكار الاشتراكية الماركسية (العلمية):

كارل ماركس (1818-1883) له الفضل في انتشار وسيادة الأفكار الاشتراكية من خلال كتابه "البيان الشيوعي" وذلك ابتداءً من أواخر القرن 19م وهو أول من وضع نظرية عن الإنتاج في ظل النظام الاشتراكي، أفكاره لم تكن مجرد آراء فلسفية للتيار الاشتراكي بل وضع نموذج لتطوير العملية الإنتاجية في إطار شروط وظروف محددة.

تقوم الماركسية أساساً على التجريد والمادية، وعلى مبدأ التضاد في الدراسة الجوهرية للظواهر.

التحليل الماركسي يؤمن بالتعارض والتضاد بين البنية الأساسية والبنية العليا.

- **البنية الأساسية:** تأتي من التناقض بين حاجات الإنسان المتزايدة والمتعددة وبين الفنون وأدوات الإنتاج التي تسمح بإشباعها، وهذه الأدوات تعتبر العوامل المادية للإنتاج.
- **البنية العليا:** تتمثل في التناقض بين هذه الحاجات والعلاقات الإنتاجية التي تسفر عنها مراحل الإنتاج المختلفة، وهذا الشكل الثاني من التناقض يوضح لنا المفهوم الأساسي للماركسية والتي تستند على أن العمل هو أساس القيمة، كما أن العمل ذاته يعتبر قيمة، فهو يشارك دافيد ريكاردو الرأي بأن القيمة نوعان:
  - **قيمة المنفعة (الاستعمال)**
  - **قيمة التبادل:** وهي تأتي من العمل الذي يغير قيمة الإنتاج.

ففي نظر كارل ماركس العامل يبيع جهده على شكل عمل الرأسمالي لكي يحقق فائض القيمة، فالأجير إذا تقاضى ما قيمته 5 ساعات لمنتج تكلفة العمل فيه 8 ساعات ففائض القيمة هو (8-5)= 3 ساعات.

معدل فائض القيمة = فائض القيمة (ليكن 3ساعات)/ الأجر (تكلفة العمل)

أضاف كارل ماركس أن الرأسمالي لا يشتري فقط رأس المال الحقيقي (نرمز له ك) الذي يساوي أجر العامل، إنما يشتري رأس المال الثابت أيضاً (يرمز له ع).

إذن: **رأس المال الإجمالي = ك + ع**

الفائض الكلي للقيمة = القيمة المضافة الكلية (ونعبر عنها ح وتمثل الربح الكلي)

ومنه: معدل الربحية يمثل النسبة:

معدل الربحية = ح/(ك + ع) = عائد الاستثمار

ولقد لقيت نظرية كارل ماركس نجاحا وإقبالا وأول من طبق الاشتراكية بحذافيرها هو الاتحاد السوفياتي.

الجدول (I-1): مقارنة بين النظام الاقتصادي الاشتراكي و النظام الاقتصادي الرأسمالي

المقارنة	الرأسمالي	الاشتراكي
الملكية	خاصة	عامة
حرية الإنتاج و العمل	الأفراد و المؤسسات	الحكومة
إدارة عوامل الإنتاج	الأفراد و المؤسسات	الحكومة
دور الحكومة	في بعض الحالات	في جميع الحالات
إنتاج السلع	جيدة	رديئة
الأهداف	تحقيق المصلحة الشخصية الحصول على الربح	إشباع الحاجات الضرورية لكافة الأفراد

تقييم النظرية الماركسية:

واجهت النظرية الماركسية عدة انتقادات نذكر منها:

- تقوم النظرية الماركسية حسب سوروكين على الحتمية أو أساس ميتافيزيقي وتقوم على جانب واحد فقط، بينما في الحقيقة هي علاقة تبادلية تأثر وتأثير.
- فروض ماركس لها صفة قوانين عامة لكنها مجرد مبادئ نظرية تعتريها أخطاء فيما يخص الوصف الفعلي لنمط الصراع والتوازن.

بالرغم من الانتقادات الموجهة للنظرية الماركسية إلا أن ماركس ترك إسهامات سوسيولوجية مهمة أهمها:

- ارتكاز ماركس في تحليله للظواهر الاجتماعية على العوامل المادية مبتعدا على الغيبيات والروحانيات، مما يخضع الظواهر لدراسة علمية.
- أكد ماركس على أهمية تفسير العوامل السوسيولوجية في ضوء تفسير العوامل التاريخية.
- فسر ماركس النظرية الاختيارية للفعل الاجتماعي، أي أن الثورة لا تحدث من تلقاء نفسها وإنما يدفع بها الناس، واشتق ماركس مفهوم الفعل الاجتماعي من المبادئ الكلاسيكية "الغاية تبرر الوسيلة" بطريقة آلية وأن سعي الأفراد لتحقيق أهدافهم يلزمهم بالتفاعل مع العالم المادي، هذا الأخير الذي يستلزم وجود علاقات اجتماعية تنشأ عنها الحاجة إلى التكنولوجيا وهذا ما أطلق عليه ماركس قوى علاقات الإنتاج أو الترشيد الآلي.
- كما أكد ماركس على بناء المواقف الاجتماعية والتلاحمات المنطقية.